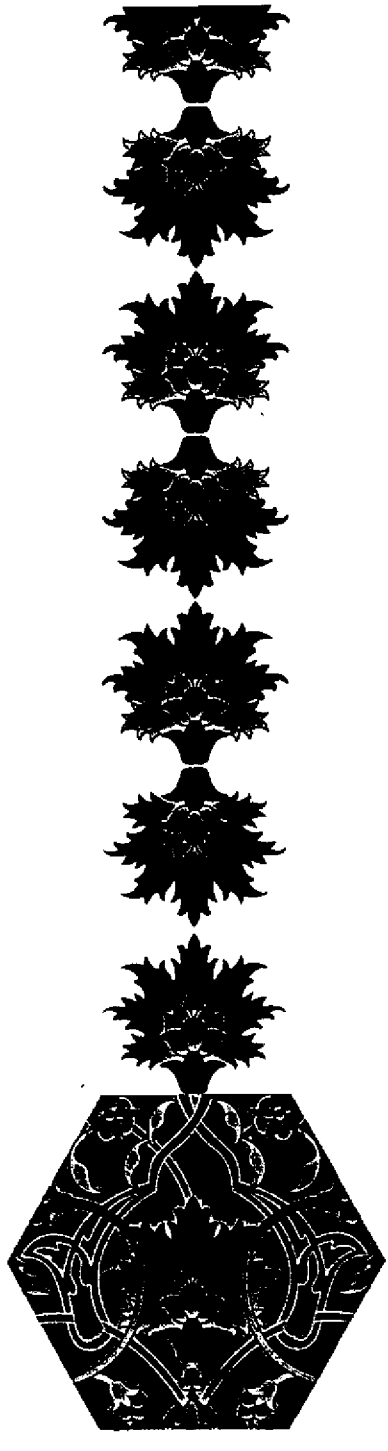

مُحمَّد ﷺ

الفصل الأول ــ

الإسلام قبل محمد ﷺ

قبل مـجيئ محمـد ﷺ كان الإسلام (عبـادة الله وحده) هو دين قله من بني إسماعـيل على ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وكان هناك شرك ظاهر (عـبادة آلهة أخرى) تمثل في وضع العـرب الأصنام بجوار بيت الله الحرام الذي رفع قـواعده إبراهيم وولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ، وقام العرب بعبادة هذه الأصنام التي أخرجت بني إسماعيل عليه السلام من دين الإسلام.

وقبل مجـيئ محمد ﷺ كان الإسلام (عـبادة الله وحده) هو دين قله من بني إسرائيل على شريعة موسى عليه السلام (اليهود) ولم يكن هناك شرك ظاهر (عبادة آلهة أخرى)، ولكن كان هناك شرك باطن (اتبـاع وصايا غير وصايا الله) تمثل في اتخاذ اليهود أحبارهم أربابًا من دون الله يعـملون بوصاياهم التي كتبوها بأيديهم في كتاب (التلمود) أو ما يعرف (بالتفـسير الشفوي للتوراة)، والتي أخرجت بني إسرائيل من دين الإسلام.

وقبل مجـيئ محمد ﷺ كان الإسلام (عـبادة الله وحده) هو دين قله من بني إسرائيل على شـريعة عيـسى (النصارى) ولم يكن هناك شرك ظاهر (عـبادة آلهة أخرى)، ولكن كان هناك شرك باطن (اتبـاع وصايا غير وصايا الله) تمثل في اتخاذ النصارى رهبانهم أربابًا من دون الله يعملون بوصاياهم التي كتبوها بأيديهم في قـرارات المجامع الكنسـية، أو مـا يعرف (بقـانون الإيمان المسيـحي)، والتي أخرجت بني إسرائيل من دين الإسلام.

الفصل الثاني

مولد محمد ﷺ ونشأته

نسب محمد ﷺ:

الجزء الأول: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ بن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قصي ـ واسمه زيد ـ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ـ وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة ـ بن مالك بن النضر ـ واسمه قيس ـ بن كنانة خزيمة بن مدركة ـ واسمه عامر ـ بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

الجزء الثاني: ما فوق عدنان، وعدنان هو ابن أدد بن الهميسع بن سلامان ابن عوض بن بوز بن قموال بن أبي عوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن يدلاف ابن طابخ بن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيض بن عبقر بن عبيد بن الدعا ابن حمدان بن سنبر بن يثربي بن يحزن بن يلحن بن أرعوي بن عيض بن ديشان ابن عيصر بن أفناد بن أيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن سمى بن مزي ابن عوضة بن عرام بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

الجزء الثالث: ما فوق إبراهيم عليه السلام. وهو ابن تارح ـ واسمه آزر ـ بن ناحور ابن ساروع أو ساروغ ـ بن راعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ ـ يقال: هو إدريس النبي عليه السلام ـ ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

أسرة محمد ﷺ:

جده الأكبر هاشم بن عبد مناف الذي تولى السقاية والرفادة من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار على اقتسام المناصب.

ثم تولى السقاية والرفادة بعد هاشم أخيه المطلب بن عبد مناف وولى بعده عبد المطلب جد الرسول. فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم.

وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب. وأعفهم وأحبهم إليه. وهو الذبيح. وذلك أن عبد المطلب لما تم أبناؤه عشرة. وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه. فقيل: إنه أقرع بينهم أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله وكان أحب الناس إليهم.

وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل فوقعت القرعة على عبد الله فلم يزل يزيد من الإبل عشرًا عشرًا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها. فنحرت عنه. ثم تركت، لا يرد عنها إنسان ولا سبع. وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرًا من الإبل فجرت بعد هذه الواقعة مائة من الإبل. وأقرها الإسلام. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» يعني إسماعيل عليه السلام، وأباه عبد الله.

واختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب. وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وأبوها سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا. فزوجه بها فبنى بها عبد الله في مكة. وبعد قليل أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتار لهم تمرًا. فمات بها.

مولد محمد ﷺ:

ولد محمد ﷺ بشعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول. لأول عام من حادثة الفيل. ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى. ويوافق ذلك العشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م.

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده. فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة. ودعا الله وشكر له. واختار له اسم محمد ـ وهذا الاسم لم يكن معروفًا في العرب ـ وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون.

نشأة محمد ﷺ:

وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر. فالتمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ المراضع، واسترضع له امرأة من بني سعد.

وفي السنة الرابعة من مولده على قول المحققين وقع حادث شق صدره، وخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة حتى ردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين.

ورأت آمنة وفاء لذكرى زوجها الراحل أن تزور قبره بيثرب، فمكثت شهراً، وبينما هي راجعة إذ لا حقها المرض، فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة.

وعاد عبد المطلب بمحمد ﷺ إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو نحو حفيده اليتيم، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة.

ولثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره ﷺ توفى جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أن يعهد بكفالة محمد ﷺ إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه.

عمل محمد ﷺ:

ولم يكن له ﷺ عمل معيّن في أول شبابه إلا أن الرواية توالت أنه كان يرعى غنمًا، رعاها في بني سعد. وفي مكة لأهلها على قراريط، ثم انتقل إلى عمل التجارة فقد ورد أنه كان يتاجر مع السائب ابن أبي السائب المخزومي فكان خير شريك له لا يداري ولا يماني وجاءه يوم الفتح فرحب به وقال: مرحبًا بأخي وشريكي.

زواج محمد ﷺ:

وفي الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها، قال ابن إسحق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت قريش قومًا تجارًا فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من شمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة ـ وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبى عليهم ذلك ـ فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه. وهذه ذهبت إلى النبي ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة. فرضى بذلك، وكان سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلاً، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

الفصل الثالث

آيات محمد ﷺ

آيات القرآن:

جاء القرآن الكريم بمعجزة لغوية للعرب يتحداهم في البلاغة وعلوم اللغة.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾. (الإسراء: ٨٨)

وجاء القرآن الكريم بمعجزة الكشف عن أحداث حدثت في الماضي وروى ما حدث للرسل السابقين.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

(القصص: ٤٤)

وجاء القرآن الكريم بمعجزة التنبؤ بأحداث ستحدث في المستقبل فبعد هزيمة دولة الروم على يد دولة الفرس تنبأ بحرب ستقع بعد تسع سنوات تنتصر فيها دولة الروم على دولة الفرس، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

(الروم: ١-٤)

وجاء القرآن بمعجزة الكشف عن أسرار خلق الله للكون وخلق الله للإنسان؛ فالقرآن تحدث عن كروية الأرض ودورانها حول نفسها، وتحدث عن السماء وعن الفضاء الهائل، وتحدث عن البداية الواحدة للكون، وتحدث عن البرازخ بين البحار، وتحدث عن أعماق البحار، وتحدث عن باطن الأرض، وتحدث عن أسرار الجسد؛ فبين لنا أن الأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة، وتحدث عن تطور الجنين في بطن الأم، وتحدث عن أن العين لا ترى بذاتها ولكن بانعكاس الضوء عليها.

قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾. (فصلت: ٥٣)

آية انشقاق القمر:

روى البخاري: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، ثنا بشر بن المفضل، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما.

آية مباركة الطعام:

روى البخاري: ثنا عبد الله بن يوسف وأخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولا تثني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليه فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلت أبو طلحة؟»، فقلت: نعم، قال: «بطعام؟»، قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلم يا أم سليم، ما عندك؟»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ: فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأكل القوم كلهم سبعون أو ثمانون رجلاً.

آية الإسراء والمعراج:

قال ابن القيم: أسرى برسول الله ﷺ على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا البراق، صحبة جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فنزل هناك وصلى بالأنبياء إمامًا وربط البراق بحلقة باب المسجد.

ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء دونها استفتح له جبريل ففتح له فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته، وأراه الله أرواح الشهداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن يساره.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف عليه السلام، فسلم عليه فرد عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقى فيها موسى بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقى فيها إبراهيم عليه السلام، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته.

ثم رُفع له البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون.

ثم عرج به إلى الجبار (جلَّ جلاله)، فدنا منه قاب قوسين أو أدنى.

الفصل الرابع

رسالة محمد ﷺ

رسالة محمد ذكرت بعض أحداثها في الكتاب الذي أنزله الله على رسوله موسى عليه السلام (التوراة)، وذكرت أحداث أخرى في الكتاب الذي أنزله الله على رسوله عيسى عليه السلام (الإنجيل)، وذكرت أحداث أخرى في الكتاب الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ (القرآن).

جاء في التوراة:

قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكملوا. أقيم لهم نبيًا من وسط أخواتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. (تثنية ١٨/١٧-١٨)

وجاء في الإنجيل:

أن لي أمورًا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق. (يوحنا ١٦/١٢-١٣)

وجاء في القرآن:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾. (الأعراف: ١٥٧)

في مكة بدأ محمد ﷺ رسالته بدعوة عشيرته الأقربين إلى الإسلام سرًا، ثم بدعوة مشركي مكة إلى الإسلام جهرًا ولقي هو وأتباع رسالته الاضطهاد والتعذيب حتى أذن الله له ولأتباع رسالته بالهجرة إلى المدينة.

وفي المدينة بدأ محمد ﷺ في إقامة دولة الإسلام بوضع منهج لحياة المسلمين مستمد من كتاب الله (القرآن)، وأحاديث الرسول ﷺ (السنة).

ومن المدينة أرسل محمد ﷺ رسائله للملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وغزا محمد ﷺ غزوات كثيرة دفاعًا عن الإسلام.

الدعوة إلى الإسلام في مكة:

جبريل عليه السلام ينزل بوحي من الله إلى محمد ﷺ:

أول ما نبئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء أجاءه جبريل عليه السلام فقال: اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥)»، فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: مالي فأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة ـ وكان امرءًا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمى ـ فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى، يا ليتني فيها جزعًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

محمد ﷺ يدعو السابقين الأولين إلى الإسلام (سرًا):

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام على ألصق الناس به من أهل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الحق والخير ويعرفونه بالتحلي بالصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا في تاريخ الإسلام بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن ثابت بن شراحبيل الكلبي وابن عمه علي بن أبي طالب ـ وكان صبيًا يعيش في كفالة الرسول ـ وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة.

ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، وكان رجلاً مألفًا محببًا سهلاً ذا خلق معروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته، ومجالسته، فجعل يدعو من يثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الزهريان، وطلحة بن عبيد الله التيمي، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول لطليعة الإسلام.

ثم تلا هؤلاء أبو عبيدة عامر بن الجراح من بني الحارث بن فهر، وأبو سلمة ابن عبد الأسد المخزومي وامرأته أم سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد العدوي وامرأته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت التميمي، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وامرأته أمينة بنت خلف.

محمد ﷺ يدعو عشيرته المقربين إلى الإسلام (جهرًا):

أنزل الله على الرسول الآية الكريمة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، فدعا رسول الله ﷺ بني هاشم، فجاءوا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة عشر رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون وتمدهم العرب، فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، ورسول الله لم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعا بني هاشم ثانية، وقال: «**الحمد لله أحمده؛ واستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**»، ثم قال: «**إن الرائد لا يكذب أبداً والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً**»، فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقًا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب، فقال أبو لهب: هذه والله السوأة. خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: واللهِ لنمنعنه ما بقينا.

محمد ﷺ يدعو مشركي قريش إلى الإسلام:

قال ابن إسحاق وغيره: لما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشًا ثقله، قالت قريش: قد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ على ابن أخيه، وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا، وفي لفظ: فإننا نخاف أن يرث هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب، يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه.

مشوا إلى أبي طالب فكلموه، وهم أشراف قومه، عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم ـ وهم خمس وعشرون تقريبًا ـ فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه، ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه، فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك ثم أخبره بالذي قالوا له وعرضوا عليه من عدم تعرض كل فريق للآخر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**أرأيتم إن أعطيتكم كلمة إن تكلمتم بها، ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم**»، فلما قال هذه المقالة، توقفوا وتحيروا ولم يعرفوا كيف يعرفون هذه الكلمة الواحدة النافعة إلى هذه الغاية والحد، ثم قال أبو جهل: ما هي؟ وأبيك لنعطيها وعشر أمثالها، قال: «**تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه**»، فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ إن أمرك لعجب.

اعتداءات مشركي مكة على محمد ﷺ:

قال ابن إسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي ـ وكانوا جيرانه ـ لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلي، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجرًا ليستتر به منهم إذا صلى فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: **«يا بني عبد مناف، أي جوار هذا؟»**، ثم يلقيه في الطريق.

وازداد عقبة بن أبي معيط في شقاوته وخبثه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (وهو عقبة بن أبي معيط) فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغني شيئًا، لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعضهم، ورسول الله ﷺ ساجد، لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: **«اللهم عليك بقريش»** ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وقال: كانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: **«اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط»** ـ وعد السابع فلم يحفظه ـ فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر.

اعتداءات مشركي مكة على أتباع محمد ﷺ:

كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال، والجاه، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به.

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته.

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه منعته الطعام والشراب وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا فتقشف جلده تخشف الحية.

وكان صهيب بن سنان الرومي يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول.

وكذلك بلال مولى أمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يضع في عنقه حبلاً ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول: أحد.. أحد، وكان أمية يشده شدًا ثم يضربه بالعصا، ويلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع وأشد من ذلك كله أنه يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في الرمداء في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا والله لا جزاه هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك: أحد.. أحد، ويقول: لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، ومر به أبو بكر يومًا وهم يصنعون ذلك به فاشتراه غلام أسود وقيل: بسبع أواق أو بخمس من الفضة وأعتقه.

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون - وعلى رأسهم أبو جهل - يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمداء فيعذبونهم بحرها، ومر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون فقال: «صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة:

وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل، لا يظلم عنده أحد فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتن.

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، كان مكونًا من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وقد قال النبي ﷺ فيهما: «**إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ**».

كان رحيل هؤلاء تسللاً في ظلمة الليل ـ حتى لا تفطن لهم قريش ـ خرجوا إلى البحر ويمموا ميناء شعيبة ـ وقيّضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، وفطنت لهم قريش، فخرجت في آثارهم، لكن لما بلغت إلى الشاطئ كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.

هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة:

واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى وعلى نطاق أوسع ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها، بيد أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشي الحبشي قبل أن يدركوا.

وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً وثمان عشرة امرأة.

مقاطعة مشركي مكة لمحمد ﷺ وأتباعه:

زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيلة ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبي الله ﷺ والقيام دونه كائنًا ما كان، فاجتمعوا في خيم بني كنانة في وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق «أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل».

ثم هذا الميثاق، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ـ إلا أبا لهب ـ وحبسوا في شعب أبي طالب.

واشتد الحصار، فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًا ـ وكانوا ـ لا يخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعون الشراء.

مر عامان أو ثلاثة أعوام كاملة والأمر على ذلك، وفي المحرم سنة عشر من النبوة نقضت الصحيفة وفك الحصار، وذلك أن قريشًا كانوا بين راض بهذا الميثاق وكاره له، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهًا لها.

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

سبب إسلامه أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ يومًا عند الصفا فآذاه ونال منه، ثم ضربه بحجر في رأسه فشجه حتى نزف منه الدم، وأقبل حمزة من القنص متوحشًا قوسه، فلما دخل المسجد لقى أبا جهل، وقال له: يا مصفر استه، تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجعه شجا منكرة.

وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة رجل أبي أن يهان مولاه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالعروة الوثقى واعتز به المسلمون أيما الاعتزاز.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

سبب إسلامه أنه خرج يومًا متوشحًا سيفه يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقيه رجل في طريقه وأخبره بإسلام أخته وزوجها فمشى عمر حتى أتاهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثًا تحدثنا بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما، فقال له ختنه: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدًا، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها.

فلما يئس عمر. ورأى ما بأخته من الدم استحيا، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم لأقرأه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ: ﴿طه﴾ (طه:١)، حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه:١٤)، فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد وذهب رلى دار ابن الأرقم وأشهر إسلامه.

محمد ﷺ يدعو أهل الطائف إلى الإسلام:

في شوال سنة عشر من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً ماشيًا على قدميه جيئةً وذهابًا ومعه مولاه زيد ابن حارثة، وكان كلما مرَّ على قبيلة في الطريق دعاها إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وإلى نصرة الإسلام.

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان دعاء الرسول المشهور: «**اللهم إليك اشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبة حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**».

ورجع محمد ﷺ إلى مكة ولما بلغ منازل مكة لقيه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، فقال محمد ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله ـ عزَّوجلَّ ـ من أصلابهم من يعبد الله ـ عزَّوجلَّ ـ وحده ولا يشرك به شيئًا**».

محمد ﷺ يدعو أهل يثرب إلى الإسلام:

وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة ـ يوليو سنة ٦٢٠م ـ وجدت الدعوة الإسلامية بذوراً صالحة، سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة من لفحات الظلم والعدوان حتى تغير مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ.

وكان من حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين.

فخرج ليلة ومعه أبو بكر وعلي، فمر على منازل ذهل وشيبان بن ثعلبة وكلمهم في الإسلام وقد دارت بين أبي بكر وبين رجل من ذهل أسئلة، وأجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، غير أنهم توقفوا في قبول الإسلام.

ثم مر رسول الله ﷺ بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون، فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب، كلهم من الخزرج.

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيًا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فتتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما لحقهم رسول الله ﷺ قال لهم: «من أنتم»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «من موالي اليهود؟» أي حلفائهم، قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟»، قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته وأسلموا.

بيعة العقبة الأولى:

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي ـ موسم الحج سنة ١٢ من النبوة يوليو ٦٢١م ـ اثنا عشر رجلاً لمبايعة الرسول ﷺ على الإسلام.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**»، قال فبايعناه على ذلك.

وبعد أن تمت البيعة بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، وهو مصعب بن عمير رضي الله عنه.

بيعة العقبة الثانية:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة ـ يونيو سنة ٦٢٢م ـ حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفسًا من المسلمين من أهل يثرب، جاءوه ضمن حجاج قومهم من المشركين.

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوساط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل.

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختاروا اثنى عشر زعيمًا يكونون نقباء على قومهم، يكلفون المسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة، فقال للقوم: «**اخرجوا إليّ منكم اثنى عشر نقيبًا ليكونوا على قومكم بما فيهم**»، فتم اختيارهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

هجرة المسلمين إلى المدينة:

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة ـ وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته ـ أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة.

وبدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين الخروج من مكة، لما كانوا يحسون من الخطر، وهاك نماذج من ذلك:

١ ـ كان من أول المهاجرين أبو سلمة ـ هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة على ما قاله ابن إسحاق ـ وزوجته وابنه، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ فأخذوا منه زوجته، وغضب آل أبي سلمة لرجلهم، فقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا والغلام بينهم فخلعوا يده، وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة.

٢ ـ وهاجر صهيب بن سنان الرومي بعد رسول الله ﷺ فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيت إن جعلت مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «ربح صهيب، ربح صهيب».

٣ ـ وتواعد عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي ابن وائل موضعًا يصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياشي، وحبس عنهما هشام.

هجرة محمد ﷺ إلى المدينة:

نزل جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ بوحي من ربه تبارك وتعالى فأخبره بمؤامرة قريش لقتله، وأن الله قد أذن له في الخروج وحدد له وقت الهجرة وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

وجاء رسول الله ﷺ بيت أبي بكر رضي الله عنه فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «فإني قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم».

وأمر رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه تلك الليلة أن يضطجع على فراشه، ولما تطلع مجرمو قريش من صير الباب رأوا عليًا فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائمًا، وعليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، واكتشفوا رحيل محمد ﷺ.

ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشًا ستجدّ في اللحاق به، لم يسلك طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً، وسلك الطريق الذي يضاده تمامًا، حتى بلغ جبل ثور وصعد إلى غار ثور وظل به حتى خمدت نار الملاحقة، وحين خمدت نار الملاحقة تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج من غار ثور إلى المدينة.

وفي يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة نزل رسول الله ﷺ بقباء، وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخمس.

ثم سار النبي ﷺ بعد الجمعة حتى دخل المدينة، ارتجت البيوت والسكك بأصوات الحمد والتسبيح، وتغنت بنات الأنصار بغاية الفرح والسرور:

طلع البدر علينا ○■○ من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ○■○ ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ○■○ جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ○■○ مرحبًا يا خير داع

إقامة دولة الإسلام في المدينة

المؤاخاة بين المسلمين:

وأول خطوة خطاها رسول الله ﷺ في المدينة هو بناء مسجد يجمع المسلمين، واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ▫■▫ فاغفر للأنصار والمهاجرة»

ثم أن النبي ﷺ بجانب قيامه ببناء المسجد مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التاريخ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة.

وكما قام رسول الله ﷺ بعقد هذه المؤاخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة أزاح بها ما كان بينهم من حزازات في الجاهلية، وما كانوا عليه من نزعات قبلية جائرة واستطاع بفضلها إيجاد وحدة إسلامية شاملة، وفيما يلي بنودها ملخصًا:

هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم:

١ ـ إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٢ ـ المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٣ ـ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

٤ ـ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى ظلمًا أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين.

٥ ـ وإن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم.

٦ ـ ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر.

٧ ـ ولا ينصر كافرًا على مؤمن.

٨ ـ وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

٩ ـ وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

١٠ ـ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

١١ ـ وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله.

١٢ ـ وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.

١٣ ـ وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلاً عن بيته فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.

١٤ ـ وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

١٥ ـ وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأنّه من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

١٦ ـ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

منهاج حياة المسلمين:

العقيدة

الإسلام:

قال تعالى: ﴿ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾. (آل عمران: ١٩)

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾. (الشورى: ١٣)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: على ان يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج» (مسلم: ١٦).

الإيمان:

قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾. (البقرة: ١٣٦)

قال تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾. (ال عمران: ٨٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن طريق، والحياء شعبة من الإيمان» (مسلم: ٣٥).

الإحسان:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. (المائدة: ٩٣)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق. فلبثت مليًا، ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**»، قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». (مسلم: ٨).

العبادات

الصلاة:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . (المائدة: ٦)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: «سمع الله لمن حمده» حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: «ربنا ولك الحمد»، ثم يكبر حين يهوى ساجداً ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يكبر حين يسجد ثم يكبر حين يرفع رأسه ثم يفعل مثل ذلك في الصلاة حتى يقضيها يكبر حين يقوم من المثنى بعد الجلوس ثم يقول أبو هريرة: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ . (مسلم: ٣٩٢)

الزكاة:

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ . (المؤمنون: ١-٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: «إنك تدعو قوماً من أهل الكتاب فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم ان الله افترض خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوا لذلك فأعلمهمل ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» (مسلم: ١٩).

الصيام:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. (البقرة: ١٨٣-١٨٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين» (مسلم: ١٠٧٩).

الحج:

قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾. (البقرة: ١٩٦-١٩٨)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه» (مسلم: ١٣٥٠).

المعاملات

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾. (الإسراء: ٢٣-٣٥)

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

(الأنعام: ١٥١-١٥٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَن؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَن؟ قال: «أمك»، قال: ثم مَن؟ قال: «ثم أبوك» (مسلم: ٢٥٤٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات -، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (مسلم: ٢٥٦٤).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (مسلم: ٢٥٧٨).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» (مسلم: ٢٦٠٧).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنَّة قاطع رحم» (مسلم: ٢٥٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب» (مسلم: ٢٦٠٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه» (مسلم: ٢٦٢٥).

الأحكام

القتل:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. (البقرة: ١٧٨)

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾. (النساء: ٩٢)

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها لأنه كان أول من سن القتل**» (مسلم: ١٦٧٧).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب الناس يوم القيامة في الدماء**» (مسلم: ١٦٧٨).

السرقة:

قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾. (المائدة: ٣٨)

وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدًا**» (مسلم: ١٦٨٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قطع سارقًا في مُجن قيمته ثلاثة دراهم» (مسلم: ١٦٨٦).

الزنا:

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (النور: ٢)

وعن بريدة قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهِّرني، فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه»، قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهِّرني، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه»، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهِّرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله: «فيم أُطهِّرك؟»، فقال: من الزنى، فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جُنون؟»، فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: «أشرب خمراً؟»، فقام رجلٌ فاستنكهَهُ فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟»، فقال: نعم، فأمر به فرجم. فكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا في ذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز بن مالك»، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسعتهم»، قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله طهِّرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه»، فقالت: أراك تريد أن تردِّدني كما رددت ماعز بن مالك، قال: «وما ذاك؟»، قالت: إنها حبلى من الزنا، فقال: «أنت؟»، قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك»، قال: فكفَّلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبيَّ ﷺ فقال: «قد وضعت الغامدية، فقال: «إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبيَّ الله، قال: فرجمها. (مسلم: ١٦٩٥).

الجهاد:

قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾. (البقرة: ١٩٠-١٩٤)

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾. (النساء: ٧٥)

قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾. (التوبة: ١٣-١٦)

قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾.
(التوبة: ٣٦)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. (التوبة: ١١١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ قال: «رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه»، قال: ثم من؟، قال: «مؤمن في شعب من الشعب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره» (مسلم: ١٨٨٨).

وعن سهل بن حنيف أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق نزل منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (مسلم: ١٩٠٩).

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تَمْثُلُوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعهم إلى الإسلام فإن اجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم انهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوْا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفَيء شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبَوا فَسَلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، فإن هم أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادُوك أن تجعل لهم ذمَّة وذمَّة نبيِّه فلا تجعل لهم ذمَّة الله ولا ذمَّة نبيه ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمَّة أصحابك فإنكم أن تُخْفِروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تُخْفِروا ذمَّة الله وذمَّة رسوله، وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تُنزِلهم على حكم الله فلا تُنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنَّك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا» (مسلم: ١٧٣١).

◆◆◆

معاهدة مع اليهود:

عقد رسول الله ﷺ معاهدة مع يهود المدينة قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم حرية الدين والعقيدة دون إكراه.

بنود المعاهدة:

١ ـ إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢ ـ وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣ ـ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤ ـ وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٥ ـ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة.

٦ ـ وإن النصر للمظلوم.

٧ ـ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨ ـ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٩ ـ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإلى محمد رسول الله ﷺ.

١٠ ـ وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها.

١١ ـ وإن بينهم النصر على من دهم يثرب .. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١٢ ـ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

معاهدة مع النَّصارى:

وعقد رسول الله ﷺ معاهدة مع نصارى نجران قرر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم حرية الدين والعقيدة دون إكراه.

وكانت وفادة أهل نجران سنة ٩ هـ، وقوام الوفد ستون رجلاً منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران.

ولما نزل الوفد بالمدينة ولقي النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وسألوه عما يقول في عيسى عليه السلام فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى نزل عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (آل عمران: ٥٩-٦١)

فلما أصبحوا وقد أبوا عن قبول ما عرض عليهم من قوله في عيسى وأبوا عن الإسلام دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره، فلما رأوا منه الجد والتهيؤ خلوا وتشاوروا، فقال بعضهم لبعض: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنا نعطيك ما سألتنا فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم وكتب لهم بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلاً أمينًا فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة ابن الجراح، ليقبض الجزية ثم طفق الإسلام يفشو بينهم.

دعوة أهل الكتاب للإسلام:

وينزل جبريل عليه السلام بوحي من الله إلى محمد ﷺ يدعو أهل الكتاب للإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾. (آل عمران: ٦٥)

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾. (النساء: ١٧١)

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

(آل عمران: ٦٤)

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾. (المائدة: ٦٨)

وقال رسول الله ﷺ: «أنا أحق بموسى، وأحق بصوم هذا اليوم». (مسلم:٢٦٥١)

وقال رسول الله ﷺ: «أنا أولى بعيسى بن مريم في الأولى». (مسلم:٢٣٦٥)

وقال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم الأنبياء».

(مسلم:٢٢٨٦)

دعوة الناس جميعًا للإسلام:

وينزل جبريل عليه السلام بالوحي إلى محمد ﷺ يدعو الناس جميعًا للإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. (البقرة: ٢١-٢٢)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾. (النساء: ١)

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. (الأعراف: ١٥٨)

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾. (يونس: ١٠٨)

وقال رسول الله ﷺ: «كان كل نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة». (مسلم: ٣)

وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يُولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». (مسلم: ٤٠٩١)

الدعوة إلى الإسلام خارج جزيرة العرب

الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي، الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمد عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله فأسلم تسلم، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك.

الكتاب إلى المقوقس ملك مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد.. فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران: ٦٤)

الكتاب إلى قيصر ملك الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران: ٦٤)

الكتاب إلى كسرى ملك فارس:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

غزوات محمد ﷺ دفاعًا عن الإسلام

غزوة بدر:

سبب الغزوة: استرداد المسلمين لأموالهم التي سلبتها قريش عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، وكانت عير لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، فلما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ لاكتشاف خبرها، وكانت العير تحمل ثروات طائلة لكبار أهل مكة ورؤسائها.

واستعد رسول الله ﷺ للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة رجلٍ من المهاجرين ومن الأوس ومن الخزرج ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير.

وقسم جيشه إلى كتيبتين: كتيبة المهاجرين، وأعطى رايتها علي بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار وأعطى رايتها سعد بن معاذ، وظلت القيادة العامة في يده ﷺ كقائد أعلى للجيش.

وكان قوام جيش قريش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس وستمائة درع وكان قائده العام أبا جهل بن هشام.

وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر.

وأما المسلمون فبعد أن استنصروا ربهم تلقوا هجمات المشركين المتتالية، وهم واقفون موقف الدفاع يقولون: أحد.. أحد.

وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، ثم رفع رأسه فقال: **«أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع»** (أي الغبار)، وفي رواية ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: **«أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، وعلى ثناياه النقع»**.

فقاتل المسلمون أشد القتال ونصرتهم الملائكة، وأخذت جموع المشركين في الفرار والانسحاب المبدد، وركب المسلمون ظهورهم يأسرون ويقتلون، حتى تم لهم النصر.

غزوة أحد:

سبب الغزوة: رغبة مشركي مكة في الانتقام بهزيمتهم على يد المسلمين في غزوة بدر، ذلك أنه لما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار، وتحرك الجيش المكي بعد هذا الإعداد نحو المدينة.

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب: كتيبة المهاجرين، وكتيبة الأوس من الأنصار، وكتيبة الخزرج من الأنصار، وكان الجيش متألفًا من ألف مقاتل.

واختار منهم فصيلة من الرماة الماهرين، قوامها خمسون مقاتلاً، وأمرهم بالتمركز على جبل الرماة، وقال للرماة: **«احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»**.

وبدأت المعركة وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين، فقد تعاقب عشرة من بني عبد الدار لحمل اللواء حتى أبيدوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد.

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصرًا ساحقًا على أهل مكة، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة ليدور من خلف جبل الرماة إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد الرماة ثم انقض على المسلمين من خلفهم.

وعلت عالية من قريش الجبل، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، ولم يتم النصر للمسلمين لعصيانهم أوامر رسول الله ﷺ.

غزوة الأحزاب:

سبب الغزوة: قيام عشرين رجلاً من زعماء اليهود بالذهاب إلى قريش بمكة، يحرضونهم على غزو محمد ﷺ، ويوالونهم عليه وذهاب هذا الوفد إلى غطفان، ثم ذهاب ذلك الوفد إلى قبائل نجد يدعوهم إلى ذلك ونجاحه في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين.

واتجهت هذه الأحزاب وتحركت نحو المدينة وبعد أيام تجمع حول المدينة جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل من قريش وغطفان وقبائل نجد.

وأخذ الرسول ﷺ بمشورة قدمها الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه وذلك بإنشاء خندق حول المدينة وكانت هذه خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك وأسرع الرسول إلى تنفيذ هذه الخطة.

وخرج محمد ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع فتحصنوا به، والخندق بينهم وبين الكفار الذين وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبين المدينة، فالتجئوا إلى فرض الحصار على المسلمين.

وأخذ الرسول بمشورة قدمها الصحابي الجليل نعيم بن مسعود بإحداث فرقة بين اليهود والمشركين وذلك بإدخال الشك بين اليهود من جهة وبين قريش وغطفان من جهة أخرى في نصرة كل منهما للآخر أثناء القتال.

ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»، وأرسل الله عليهم جندًا من الريح فجعلت تقوض خيامهم، وأرسل جندًا من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف.

فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله الأحزاب، فرجع إلى المدينة.

فتح مكة:

سبب الغزوة: نقض قريش وحلفائها لبند من بنود صلح الحديبية والذي كان ينص على أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين تعتبر جزءًا من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من تلك القبائل يعتبر عدوانًا على ذلك الفريق، وحسب هذا البند دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وصار كل من القبيلتين في أمن من الأخرى.

وخرجت جماعة من بني بكر فأغاروا على خزاعة ليلاً، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل.

واستنصرت قبيلة خزاعة محمدًا ﷺ على قريش لنقضها اتفاق صلح الحديبية فقرر نصرها ولعشر خلون من شهر رمضان المبارك ٨ هـ، غادر رسول الله ﷺ المدينة متجهًا إلى مكة، في عشرة آلاف من الصحابة.

وتحركت كل كتيبة من الجيش الإسلامي على الطريق التي كلفت الدخول منها، فأما خالد وأصحابه فلم يلقهم أحد من المشركين إلا قتلوه.

ثم نهض رسول الله ﷺ، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء:٨١)، والأصنام تتساقط من حوله.

غزوة حُنين:

سبب الغزوة: اجتماع قبائل العرب المجاورة لمكة على قتال المسلمين بعد خوفهم من قوة المسلمين الآخذة في الصعود بعد فتح مكة وفي مقدمتها بطون هوازن ثقيف، واجتمعت إليها نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال فاجتمعت إلى مالك بن عوف، وقررت المسير إلى حرب المسلمين.

وفي يوم السبت السادس من شهر شوال سنة ٨ هـ غادر رسول الله ﷺ مكة وكان ذلك في يوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة ـ خرج في اثنى عشر ألفًا من المسلمين، عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا معه لفتح مكة، وألفين من أهل مكة.

انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين لعشر خلوان من شوال، وكان مالك ابن عوف قد سبقهم وأمر جيشه بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلعوا.

وانحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو يقول: «**هلموا إليّ أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**»، ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين والأنصار.

وحينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها، فقد طفق يركض بغلته قبل الكفار وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلاً: «**اللهم انزل نصرك**».

وصرفت الدعوة إلى الأنصار: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج، وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى كما كانوا تركوا الموقعة، وتجالد الفريقان مجالدة شديدة، وما هي إلا ساعات قلائل حتى هزم المسلمون المشركين هزيمة منكرة.

غزوة بني قينقاع:

سبب الغزوة: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ـ وهي غافلة ـ فلما قامت انكشفت فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ـ وكان يهوديًا ـ فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وحينئذ عيل صبر رسول الله ﷺ، فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب، وسار بجنود الله إلى بني قينقاع، ولما رأوه تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال سنة ٢ هـ، ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم، فأمر بهم فكتّفوا.

وحينئذ قام عبد الله أبي بن سلول بدور نفاقه، فألح على رسول الله ﷺ أن يصدر عنهم العفو، فقال: يا محمد، أحسن في موالي ـ وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج ـ.

وعامل رسول الله ﷺ هذا المنافق ـ الذي لم يكن مضى على إظهار إسلامه إلا نحو شهر واحد فحسب ـ عامله بالحسنى فوهبهم له وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات الشام، فقل أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم.

غزوة بني النضير:

سبب الغزوة: تآمر المشركين لقتل محمد ﷺ، وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى، ويصعد فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟.. فقال أشقاهم عمرو ابن جحاش: أنا فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، ولكنهم عزموا على تنفيذ خطتهم.

ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله ﷺ يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعًا وتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همت به يهود.

وما لبث رسول الله ﷺ أن بعث محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم: «**اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرًا، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه**»، بيد أن رئيس المنافقين ـ عبد الله بن أبي ـ بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم.

وهناك عادت لليهود ثقتهم، وطمع رئيسهم حيى بن أخطب، فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: «إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك».

فلما بلغ رسول الله ﷺ جواب حيى بن أخطب كبر وكبر أصحابه، ثم نهض لمناجزة القوم، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار.

ولم يطل الحصار ـ فقد دام ست ليال فقط، وقيل: خمس عشرة ليلة ـ حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا للاستسلام ولإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح.

غزوة بني قريظة:

سبب الغزوة: مجيئ جبريل عليه السلام في اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب وقوله لمحمد: أوقد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع أسلحتهم، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سأثر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، وسار جبريل إليهم في كوكبة من الملائكة.

وتحرك الجيش الإسلامي نحو قريظة إرسالاً حتى تلاحقوا بالنبي ﷺ وهم ثلاثة آلاف والخيل ثلاثون فرسًا فنازلوا حصون بني قريظة وفرضوا عليهم الحصار.

وبعد مداولات بادروا إلى النزول على حكم رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال، وقامت الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا، فأحسن فيهم، فقال: «**ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم**»، قالوا: بلى، قال: «**فذاك إلى سعد بن معاذ**»، قالوا: قد رضينا، فجاء سعد إلى رسول الله ﷺ، فجعلوا يقولون: يا سعد، أجمل في مواليك، فأحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم.

ولما انتهى سعد إلى النبي ﷺ قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك، قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم، قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟، أعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله ﷺ إجلالاً له وتعظيمًا، قال: نعم، وعلي، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتسبي الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**».

غزوة خيبر:

سبب الغزوة: انتقام محمد ﷺ من يهود خيبر لتآمرهم ودورهم في تحريض قريش وقبائل العرب عليه في غزوة الأحزاب.

ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتآمر ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولاً.

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين، الشطر الأول فيه خمسة حصون:

١ ـ حصن ناعم.
٢ ـ حصن الصعب بن معاذ.
٣ ـ حصن قلعة الزبير.
٤ ـ حصن أبي.
٥ ـ حصن النزار.

أما الشطر الثاني، ويعرف بالكتيبة، ففيه ثلاثة حصون فقط:

١ ـ حصن القموص (وكان حصن بني أبي الحقيق من بني النضير).
٢ ـ حصن الوطيح.
٣ ـ حصن السلالم.

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثمانية، إلا أنها كانت صغيرة، لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها.

والقتال المرير دار في الشطر الأول من خيبر حتى استسلموا، أما الشطر الثاني فحصونها الثلاثة سلمت دونما قتال.

غزوة مؤتة:

سبب الغزوة: انتقام محمد ﷺ لمقتل سفيره العظيم بصري على يد الوالي على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر.

وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، ويمثّل إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، فجهز إليهم جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل.

وأمر رسول الله ﷺ على هذا البعث زيد بن حارثة، وقال: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»، وأوصاهم قائلاً: «**اغزوا بسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا ثانيًا ولا منعزلاً بصومعة ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة ولا تهدموا بناء**».

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل.

أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل قتالاً شديدًا حتى خر صريعًا، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وظل يقاتل قتالاً شديدًا حتى خر صريعًا، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل قتالاً شديدًا حتى خر صريعًا، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ونجح في الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، في أول يوم من القتال.

فلما أصبح اليوم الثاني غير أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته ساقه، وميمنته ميسرة، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا، وصار خالد يتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنًا منهم أن المسلمين يخدعونهم ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة.

غزوة تبوك:

سبب الغزوة: رغبة قيصر في القضاء على قوة المسلمين الآخذة في الصعود قبل أن تتجسد في صورة خطر عظيم لا يمكن القضاء عليها، ولم يقض قيصر بعد معركة مؤتة سنة كاملة حتى أخذ يهيئ جيش الرومان والعرب التابع لهم من آل غسان وغيرهم.

كانت هذه هي الأحوال والأخبار التي يواجهها ويتلقاها المسلمون، إذ بلغهم من الأنباط الذين قدموا بالزيت من الشام إلى المدينة أن هرقل قد هيأ جيشًا عرمرمًا قوامه أربعون ألف مقاتل، وأعطى قيادته لعظيم من عظماء الروم، وأنه أجلب معهم قبائل لخم وجذام وغيرهما من متنصّرة العرب.

ونزل الجيش الإسلامي بتبوك، فعسكر هناك، وهو مستعد للقاء العدو، وقام رسول الله ﷺ فيهم خطيبًا، فخطب خطبة بليغة، حتى رفع معنوياتهم، وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ أخذهم الرعب، فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، فكان لذلك أحسن الأثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية، وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة خطيرة لعلهم لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين.

ورجع الجيش الإسلامي من تبوك مظفرين منصورين، لم ينالوا كيدًا، وكفى الله المؤمنين القتال، وكانت عودته ﷺ من تبوك ودخوله في المدينة في رجب سنة ٩ هـ واستغرقت هذه الغزوة خمسين يومًا، وكانت هذه الغزوة آخر غزواته ﷺ.

الفصل الخامس

وفاة محمد ﷺ

وفي السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وقال وهو يخطب خطبة الوداع: «**أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الوقت أبداً**»، وقال وهو عند جمرة العقبة: «**خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا**»، وأُنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق فعرف أنها النهاية، بعد أن أتم رسالته، ونشر دين الإسلام في جزيرة العرب.

وفي نهاية شهر صفر سنة ١١هـ شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، وفي طريق العودة أخذه صداع في رأسه، واتقدت حرارته، وظلت تصاحبه الحمى لأسبوعين.

وقبل خمسة أيام من الوفاة، اتقدت حرارة العلة في بدنه.

وقبل ثلاثة أيام من الوفاة أوصى بثلاث: أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، أما الثالث فنسيه الراوي.

وقبل يومين من الوفاة وجد النبي ﷺ في نفسه خفة، فخرج لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فجلس إلى يسار أبو بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ.

وقبل يوم من الوفاة أعتق النبي ﷺ غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير.

ويوم الوفاة وعندما بدأ الاحتضار أسندته عائشة إليها، فنظر إلى السماء وهو يقول: «**مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى.. اللهم الرفيق الأعلى**».

الفصل السادس

الإسلام بعد محمد ﷺ

بعد محمد ﷺ ظل الإسلام (عبادة الله وحده) هو دين المسلمين من أمة محمد إلى يومنا هذا.

وفي عهد الخلفاء الراشدين (أبي بكر ـ عمر ـ عثمان ـ علي) واصل المسلمون نشر رسالة الإسلام ومهدوا أمامها الطريق وفتحوا لها البلدان لتصل إلى الناس أجمعين فانطلقوا شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ففتحوا بلاد فارس وبلاد الشام.

وفي عهد الدولة الأموية واصل المسلمون نشر رسالة الإسلام ومهدوا أمامها الطريق وفتحوا لها بلدانًا أخرى لتصل إلى الناس أجمعين ففتحوا بلدان شمال أفريقيا وفتحوا بلاد الأندلس وفتحوا بلاد السند حتى حدود الصين.

وفي عهد الدولة العباسية واصل المسلمون نشر رسالة الإسلام ومهدوا أمامها الطريق وفتحوا لها بلدانًا أخرى لتصل إلى الناس أجمعين.

وفي عهد الدولة العثمانية واصل المسلمون نشر رسالة الإسلام ومهدوا أمامها الطريق وفتحوا لها بلدانًا أخرى لتصل إلى الناس أجمعين ففتحوا بلاد مقدونية وصوفيا والبوسنة والهرسك.

وفي عهدنا وبهزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ثم إسقاط الخلافة الإسلامية، وتم إلغاء العمل بشريعة الله في دول إسلامية عديدة لتفقد هويتها التي لن تعود إلا بعودتها للعمل بشريعة الله (وصايا الله وأحكامه).

المراجـــع

- الرحيق المختوم — للشيخ صفي الرحمن المباركفوري
  دار الوفاء
- اليهود تاريخ وعقيدة — للدكتور كامل سعفان
  دار الاعتصام
- تفسير القرآن العظيم — للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير
  دار الحديث
- صحيح البخاري — للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
  دار إحياء الكتب العربية
- صحيح مسلم — للإمام مسلم بن الحجاج القشيري
  المطبعة المصرية
- فقه السنة — للشيخ السيد سابق
  دار الفتح للإعلام العربي
- قصص الأنبياء — للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير.
  دار الدعوة الإسلامية
- محاضرات في النصرانية — للدكتور محمد أبو زهرة
  دار الاعتصام